الفصل الرابع والثلاثون بعد المئة

التقاويم والتواريخ

التقاويم :

هناك نوعان من السنين : سنين بنيت على أساس الشهور القمرية التي تثبت بمراقبة القمر ، وسنتها سنة قمرية Lunar Year . والتقويم الذي يقوم عليه تقويم قمري . وسنون بنيت على أساس شمسي Solar Year . والتقويم القائم عليها ، تقويم شمسي ، شهوره ثابتة لا تتغير . وعدة الشهور عند العرب اثنا عشر شهراً ، سواء كانت السنة شمسية أم قمرية[1] .

ولقد قلت فيما سبق : يظهر من النصوص الجاهلية ، أن أهل العربية الجنوبية كانوا يعملون بالتقويم الشمسي ، وفقاً للمواسم الزراعية ، لأننا نراهم في هذه النصوص يزرعون ويبذرون ويحصدون في شهور معينة ، ويدفعون الضرائب في مواسم ثابتة ، كما نرى أن أسماء الشهور ، عندهم ذات معان متصلة بالطبيعة ، مثل الجفاف ، والمطر ، والحر ، والبرد ، والربيع ، والخريف ، ولو كانت سنتهم سنة قمرية محضة ، لما سمّوا أشهرهم بأسماء اشتقت من الحر والبرد واعتدال الجوّ وحلول الخريف ، إذْ لا يعقل وقوع المعاني المذكورة مع تغير الشهور وعدم استقرارها على حال من الأحوال . إلا أن تواريخهم بالسنة الشمسية ،

---

١ اليعقوبي (١/١٧٧) .

لم يمنعهم من التوريخ بالتقويم القمري في أمورهم الاعتيادية ، كما في وفاء الديون، وأخذ الديات ، والبيع والشراء ، والأسفار ، لوضوح الشهر القمري ، وامكان حساب الأهلة وضبط عددها بسهولة ويسر ، فيسهل على المتعاقدين التعاقد بموجب عدد الأهلة ، أما الزراعة ، وتربية الحيوان ودفع الضرائب وما شابه ذلك ، فلا صلة لها بالأهلة،وإنما صلتها بالمواسم والفصول ، وهي من مكونات السنة الشمسية. إذن كان العرب الجنوبيـــون يؤرخون ويعملون بتقويمين : تقويم قمري ، وآخر شمسي .

استعمل العرب الجنوبيون التقويم الشمسي في الزراعة ، واستعملوا التقويم القمري للأغراض التي ذكرتها ، والتقويم النجمي ، أي التقويم الذي يقوم عـــلى رصد النجوم لأغراض دينية وللوقوف على الأنواء الجوية لما لها من صلة بالزراعة وبالحياة العامة [1] .

ويتبين من النصوص الثمودية واللحيانية والصفويـة ، ومن النصوص النبطية ، ومن نص النمارة ، ان أصحابها كانوا يتعاملون وفقـــاً للتقويم الشمسي في الأمور التي لها اتصال مباشر بالطبيعة ، ووفقاً للتقويم القمري في الأمور الأخرى، لسهولة ضبط الأهلة ، وتحقيق العقود بموجبها . واذا كان الحال على هذا المنوال عنـــد هؤلاء وعند العرب الجنوبيين ، فبامكاننا القول ان بقية الجاهليين ، ممن لم يتركوا لنا نصوصاً ، كانوا يتبعون التقويمين كذلك ، جرياً على سنة الناس في ذلك العهد ، ومنهم الأعاجم ، من اتباعهم التقويمين المذكورين في تنفيذ العقود والالتزامات وفي ضبط الأزمنة .

ومما يؤيد اتباع العرب الشماليين للتقويم الشمسي ، ما ذكـره الكتّاب اليونان واللاتين ، من أن العرب كانوا يقيمون طقوسهم الدينية ويؤدون شعائرهم المقدسة كالحج الى المحجات في أوقات ثابتة ، فقد ذكر (أفيفانيوس) ، ان للعـــرب شهراً يحجون فيه الى محجاتهم ، ويقع ذلك في شهـــر (تشرين الثاني)[2] ، كما

---

١ Rhodokanakis, Studien zur Lexikographie und Grammatik des Altsüdarabischen, Band., 2 S. 145, Sab. Denkm., S. 21, Glaser, Zwei Inschriften, S. 47, Note 7, ZDMG., 46, 322, Glasser, Die Sternkunde der Südarabischen Qabylen in SBWA., Winckler, AOF., 2, S., 351.

٢ Epiphanius, Haer., 51, 24, Reste, S. 85, 100, Ency. Religi., 10, p. 10.

ذكر (بروكوبيوس) ، ان العرب كانوا قد جعلوا شهرين في السنة حرماً لآلهتهم لا يغزون فيها ولا يهاجم بعضهم بعضاً ، ويقعان في تموز وآب[1] ، وذكر (فوثيوس) ، أن العرب كانوا يحتفلون مرتين في السنة بالحج الى معبدهم المقدس: مرة في وسط الربيع عند اقتران الشمس ببرج الثور ، وذلك لمدة شهر واحد ، ومرة أخرى في الصيف ، وذلك لمدة شهرين[2] . وفي هذه الاشارات الى الأشهر المقدسة ، والى كونها ثابتة لا تتغير بتغير المواسم ، دلالة على سير العرب في تقويمهم ، وفقاً للتقويم الشمسي .

وقد عرف التأريخ عند الجاهليين ، بدليل عثور الباحثين على نصوص كثيرة مؤرخة . وقد زعم علماء اللغة « أن التأريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض ، وأن المسلمين أخذوه من أهل الكتاب »[3] ، وفي كلامهم صحة ، إذا كان قصدهم التأريخ العام للعالم ، الذي يبدأ وفقاً لما جاء عند أهل الكتاب من الخلق وظهور آدم فالأنبياء والرسل والملوك الى أيامهم ، وفيه خطأ ، إذا قصدوا به ، التأريخ مطلقاً ، أي تثبيت الوقت ، على نحو ما نفهم من قولنا أرخت الحادث ، وأرخت الكتاب ، فقد عرف التأريخ عند الجاهليين ، بدليل وروده في نصوصهم . واستعمالهم لفظة (بورخ) ، للتأريخ . وكلمة (ورخ) ، من الكلمات الواردة بكثرة في النصوص ، ومنها لفظة (توريخ) و (ورّخ) بمعنى أرخ في عربيتنا . ولفظة (أرخ) نفسها هي من هذا الأصل .

وقد عرف (الجاحظ) أن الجاهليين كانوا يؤرخون إذ قال : « وكانوا يجعلون الكتاب حفراً في الصخور ، ونقشاً في الحجارة ، وخلقة مركبة في البنيان ؛ فربما كان الكتاب هو الناتىء ، وربما كان الكتاب هو الحفر ، إذا كان تأريخاً لأمر جسيم ، أو عهداً لأمر عظيم ، أو موعظة يرتجى نفعها ، أو احياء شرف يريدون تخليد ذكره ، أو تطويل مدته ، كما كتبوا على قبة غمدان ... وعلى عمود مأرب وعلى ركن المشقر ، وعلى الأبلق الفرد ... يعمدون الى الأماكن المشهورة ، والمواضع المذكورة ، فيضعون الخط في أبعد المواضع من الدثور ، وأمنعها من الدروس ،

---

١ Procopius, II, p. 16.

٢ Reste, 101, Winckler, Alt. Orient. Faroch., II, Reibe, 1 Band, S. 336.

٣ تاج العروس (٢/٢٥٠) ، (أرخ) .

وأجدر أن يراها من مرّ بها ، ولا تنسى على وجه الدهر »[1] .

ثم قال : « وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها ، بأن تعتمد ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها ... ثم إن العرب أحبت أن تشارك العجم في البناء ، وتنفرد بالشعر ، فبنوا غمدان ، وكعبة نجران وقصر مارد ، وقصر مأرب ، وقصر شعوب ، والأبلق الفرد ، وفيه وفي مارد، قالوا : تمرد مارد وعز الأبلق ، وغير ذلك من البنيان »[2] . ثم تعرض لأهمية الكتب ولشأنها في تخليد الذكرى،فقال : « والكتب بذلك أولى من بنيان الحجارة وحيطان المدر ، لأن من شأن الملوك أن يطمسوا على آثار من قبلهم ، وأن يميتوا ذكر أعدائهم ، فقد هدموا بذلك السبب أكثر المدن وأكثر الحصون ، كذلك كانوا أيام العجم وأيام الجاهلية ، وعلى ذلك هم في أيام الاسلام ، كما هدم عثمان صومعة غمدان ، وكما هدم الآطام التي كانت بالمدينة ، وكما هدم زياد كل قصر ومصنع كان لابن عامر،وكما هدم أصحابنا بناء مدن الشامات لبني مروان »[3].

وتتناسب أساليب التأريخ مع درجة عقلية المؤرخ ومستواه العقلي ، لذلك نجد التواريخ بالأمور العادية البسيطة بين الرعاة والأعراب والسوقة من الناس ، بينما نجد غيرهم ممن هم فوقهم درجة في العقل والثقافة يؤرخون بمناسبات لها شأن وأهمية ، مثل التقاويم العامة المهمة ، المثبتة بمبدأ ، حيث يؤرخ بموجبها .

وقد تبين لنا من دراسات نصوص المسند ، أن أصحابها استعملوا جملة طرق في تأريخهم للحوادث ، وتثبيت زمانها ، فأرخوا بحكم الملوك ، فكانوا يشيرون الى الحادث بأنه حدث في أيام الملك فلان ، من غير تعيينه بسنين ، وذلك كما في هذا المثل : « بيوم اليفع يشر ملك معنم »[4] ، أي « بيوم اليفع يشر ملك معين » ، و « بيوم يذمر ملك وترال »[5] . ومعناهما في « أيام حكم اليفع يشر ملك معين » ، أو « وكان ذلك في حكم اليفع يشر ملك معين » بالنسبة للفقرة الأولى و « في أيام يذمر ملك وترايل » ، أو « في حكم يذمر ملك ووتر ايل» ،

---

١ الحيوان (١/٦٨ وما بعدها) ، المحاسن والاضداد (٣) ، (مجلس الكتابة والكتب) .
٢ الحيوان (١/٧٢) .
٣ الحيوان (١/٧٣) .
٤ REP. EPI. 2869.
٥ المصدر نفسه الرقم ٢٧٤٠ ، Beeston, p. 26

أو « وكان ذلك في أيام حكم يذمر ملك وترايل » بالنسبة للجملة الثانية . فلم يذكر النص السنة التي دوّن فيها النص ، أو أرخ فيها النص من سني حكم الملك المذكور . وهي سنون قد تكون قصيرة ، وقد تكون طويلة . ولفظة (يوم) هي بمعنى : (حكم) و (أيام) .

وقد يؤرخ بحكم موظف من كبار موظفي الحكومة من حملة درجة (كبر) (كبير) ، مثلاً ، أو غيرها من الدرجات العالية في الحكومة أو في المجتمع . كما أرخوا بأيام الرؤساء والسادات وأرباب الأسر . وليس العرب الجنوبيون بدعاً في هذا الباب ، فقد كان غيرهم يؤرخ بهذه الطرق ، وذلك قبل توصلهم الى اتخاذ تقويم واحد ثابت له بداية معينة تؤرخ به .

والغالب ذكر اسم الشهر مع حكم الكبير أو الرئيس أو أي انسان آخر ، كما في هذا المثال : « بورخ ذ طنفت ذ كبر ايتم ذ عرقن »[1] ، ومعناها « بشهر ذو طنفت من كبارة أيتم ذو عرقن » ، وبعبارة أوضح « بشهر ذو طنفت من حكم الكبير أيتم ذو عرقن » ، و (ذو طنفت) ، اسم شهر من الشهور .

والكتابات المؤرخة بهذه الطريقة ، على انها أحسن حالاً في نظرنا من الكتابات المهملة التي لم يؤرخها أصحابها بتأريخ ، إلا اننا قلما نستفيد منها فائدة تذكر . إذ كيف يستطيع مؤرخ أن يعرف زمانها بالضبط ، وهو لا يعرف شيئاً عن حياة الملك الذي أرخت به الكتابة ، أو حكمه ، أو زمانه ، أو زمان الرجال الذين أرخ بهم ؟ لقد فات أصحاب هذه الكتابات ان شهرة الانسان لا تدوم ، وأن الملك فلاناً ، أو رب الأسرة فلاناً ، أو الزعيم فلاناً سينسى بعد أجيال ، وقد يصبح نسياً منسياً ، لذلك لا يجدي التأريخ به شيئاً ، وذاكرة الانسان لا تعي إلا الحوادث الجسام . لهذا السبب لم نستفد من كثير من هذه الكتابات المؤرخة على وفق هذه الطريقة ، وإن استفدنا منها في أمور أخرى لا صلة لها بتثبيت تواريخها .

وقد تجمعت لدينا أسماء أشخاص أرخ الناس بأيامهم لأنهم كانوا أصحاب جاه ونفوذ ، لكننا لا نعرف اليوم من أمرهم شيئاً ، لأن النصوص لم تذكر شيئاً

---

١ REP. EPI. 3608, 3, Beeston, p. 26.

عنهم ، وعن أيامهم،منهم : (عم على) من (آل رشم) من عشيرة (قفعن)[1]، و (موهبم ذ ذرحن) ، أي (موهب ذو ذرحان)[2] . و (غوث ايـــل) من (آل بيحان) (بيحن)[3]. و (شهر بجر)[4] ، و (ذران) (ذرءان)[5]، و (اب على بن شحز) ، أي (أبو على) من قبيلة (شحر)[6] . وكل هؤلاء الذين أرخ بهم هم من قتبان .

ومن الأسر التي أرخ بأيامها أسرة (نبط) و (مبحظ)[7] و (حزفرم كـــبر خلل) (حزفر كبير خليل) و (حذمت) و (فضحم)[8] .

كما تجمعت لدينا أسماء عدد من الأشهر في اللهجات العربية الجنوبية المختلفة ، تحتاج الى دراسة لمعرفة ترتيبها بالنسبة للمواسم والسنة. ويظهر انهم كانوا يستعملون احياناً مع التقويم الذي يؤرخ بحكم الرجال ، تقويماً آخـــر هو التقويم الحكومي ، وتختلف أسماء شهور هذا التقويم عن أسماء شهور التقاويم التي تؤرخ بالرجال[9] .

وقد تغير الحال في كتابات المسند منذ سنة (١١٥) قبل الميلاد ، على رأي غالبية الباحثين ، أو السنة (١٠٩) على رأي (ريكمنس) ، إذ أرخت بتقويم ثابت أرخت بموجبه الى قبيل الاسلام . مبدأه سنة سقوط حكومـــة سبأ وتكوين حكومة (سبأ وذي ريدان) ، على رأي بعض علماء العربيات الجنوبية ، فأرخ

---

١ السطر الثاني والعشرون من النص المنشور في :
Rep. Epig., VI, I, p. 218, Glaser, Alt. Nachr., S. 162. ff. ,Grundriss, S. 33, Glaser 2566.

٢ راجع نهاية الفقرة ٦ وأول الفقرة ٧ من النص Glaser 1601.
Rhodokanakis, K.T.B., I, S. 8. ff.

٣ Rep. Epig., 3693, Tome VI, II, p. 275.

٤ Rhodokanakis, K.T.B. I, S. 122. f., Rip. Epig. 3663, Tome VI, II ,p. 259.

٥ SE. 80a, Glaser 1398, 1609, Rep. Epig. 3879, Vol., VI, II, p. 334.

٦ Halevy 504, Rhodokanakis, K. T.B., I, S. 34, II, S. 7.

٧ A.F.L. Beeston, Epigraphic South Arabian Calenders and Datings, London, 1956, A.G. Lundin, Eponymat Sabéen et Chronologie Sabéene, 26, Congr. Interu. des Orientalistes, Conf. Prés. par la délégation de l'URSS, Moscou, 1963, Le Muséon, 1964, 3-4, p. 429.

٨ Le Muséon, 1964, 3-4, p. 496.

٩ Rhodokanakis, KTB., I, S. 81. f.

بهذا الحادث ، ولا سيما في الكتابات الرسمية المتأخرة [1] . ويرى (بيستن) ان مبدأ هذا التقويم غير مضبوط ، وأن مبدأه فيما بين السنة ١١٨ – ١١٠ قبل الميلاد . ويرى أيضاً ان العرب الجنوبيين لم يؤرخوا به في هذا العهد ، لأن النصوص التي تعود الى القرن الأول قبل الميلاد كانت لا تزال تؤرخ بالتأريخ القديم ، أي بالتواريخ الغير الثابتة ، مثل التأريخ بأيام الملوك والكبراء والكهنة وأمثالهم ، فلو كانوا يؤرخون به لما أهملوه . ويرى انهم انما أرخوا بـه بعد ذلك ، في حوالي القرن الثالث للميلاد .

وقد ساعدنا هذا التقويم على تثبيت تواريخ عدد من النصوص أرخت بموجبه، وعلى معرفة تأريخ هذه الحقبة التي أرخت بها . ولكن النصوص المؤرخة قليلة العدد ، ثم إننا لا نملك نصاً واحداً منها من ابتداء العهد بالتأريخ بـه ، كذلك لا نملك نصوصاً مؤرخة يعود عهدها الى قبيل الميلاد ، أو الى القرن الأول أو الثاني منه .

وأقدم نص مؤرخ بهذا التقويم ، هـو النص الموسوم بـ CIH 46 ، وتأريخه سنة (٣٨٥) من هذا التقويم ، وهو يساوي السنة (٢٧٠) أو (٢٧٦) للميلاد . وهو من أيام الملك (يسرم يهنعم) (ياسر يهنعم) ملك سبأ وذي ريدان وابنه (شمر يهرعش) . ويراد بهما (ياسر يهنعم) الثاني و (شمر يهرعش) الثالث على رأي (فون وزمن) [2] . ونص آخر للملك (ياسر يهنعم) ، تأريخه سنة (٢٧٤) أو (٢٨٠) للميلاد . والنص الموسوم بـ MM 150 = CIH 448 ، وهو يساوي سنة (٢٨١) أو (٢٨٧) بعد الميلاد .

وهناك نصوص مؤرخـة أخرى من أيام الملك (شمر يهرعش) ، ونصوص من بعد أيامه حتى أيام تملك الحبشة لليمن . أما ما بعد أيام الحبشة في اليمـن ، أي أيام استيلاء الفرس عليها ثم أيام دخولها في الإسلام ، فلم يصل الينا منهـا نص ، لا مؤرخ ولا غير مؤرخ [3] .

---

١ Mordtmann und Eugen Mitwoch, Sabaische Inschriften, Hamburg, 1931, S. I.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, p. 484, Jamme, Sabaean Inscriptions, p. 353.

٣ Mordtmann und Eugen Mittwoch, Sabäische Inschriften, Hamburg, 1931, S. I.

وآخر هذه النصوص المؤرخة ، هو النص الموسوم بـ CIH 525 ، وتاريخه سنة (٦٦٩) من التأريخ الحميري ، وهو يقابل سنة (٥٥٤) للميلاد . ويمكن أن نقول إن هذا النص هو آخر نص مؤرخ عثر عليه لا في المسند وحده ، بل في كل اللهجات العربية الأخرى ، وهو أقرب تلك الكتابات عهداً بالاسلام .

ويلاحظ ان بعض الكتابات المؤرخة تذكر لفظة (بورخ) أو (ورخسن) (ورخ) ، ثم تذكر بعدها اسم الشهر الذي أرخ النص به ، ثم عدد السنين بالنسبة للتقويم . ويراد بها معنى (شهر) ، وذلك كما في هذه العبارة : « ورخس ذو سحر .. » ، أي « في شهر ذو سحر .. » ، و « بورخ ذو خرف ..» ، أي « بشهر ذو الخريف .. » ، أو « بورخ ذ معن » ، أي « بشهر ذي معان .. » « بشهر ذي معين » ، « بشهر ذي معون » ، وهناك كتابات مؤرخة استعملت لفظة « (ورخهو) بمعنى (وتأريخه) . كما في هذه الجملة : « ورخهو ذ لثني وستي وست مائم »[1] ، أي « وتأريخه لاثني وستين وست مئة » ، وبعبارة أوضح : « وتأريخه لسنة اثنين وستين وست مئة » . فاستعملت لفظة (ورخهو) اذن ، بالمعنى العلمي الذي نستعمله اليوم حين نؤرخ عهودنا ووثائقنا ، فتقول : (أرخت بـ ..) أو (تأريخها ..) .

وترد لفظة (خرفن) ، أي سنة قبل عدد السنين في بعض النصوص ، مثل: « خرفن ذ لثلثت واربعي وخمس مائم »[2] ، ومعناها : « السنة الثالثة والأربعين بعد الخمس مئة » ، وقد تلحق لفظة (خرفتم) ، بعد عدد السنين . كما في هذا المثال : « ورخهو ذ حجتن ذل اربعي وستٍ مائم خرفتم »[3] . ومعناه : « تأريخه أو شهره ذو الحجة لأربع وستمائة سنة». وتقابل هذه السنة سنة (٤٨٩) أو (٤٩٥) للميلاد .

ويلاحظ أن النصوص السبئية المؤرخة قد أرخت بتقويمين : تقويم عرف بـ (خريفتم بن خريف نبط) ، (خرفتم بن خرف نبط)[4] ، أي بـ (سنين

---

١ CIH 541, Glaser 618.

٢ Ryckmans 534, Beeston, p. 57.

٣ CIH 621, Beeston, p. 37, Glasr, Die Abessinier in Arabien und Afrika, 1896, S. 152 ,Zwei Inschriften, S. 86.

٤ REP. EPIGR. 4196.

من سنة نبط) ، ومعناه أن هذه السنين المذكورة ، هي وفقاً للتقويم الجاري على سني (نبط) ، أو تقويم (نبط) ، وتقويم آخر قدّرت السنين فيه وفقاً لسني (مبحض بن ابحض) ، (ذ بخرفن ذل بن خرف مبحض بن ابحظ)[1] . ويشير ذلك الى وجود مبدأين للتأريخ عن السبئيين : التأريخ بتقويم (نبط) ، والتأريخ بتقويم (مبحض بن أبحض) . وذلك في الكتابات التي تعود الى القرن الثالث ونهايته لما بعد الميلاد . كالكتابات التي تعود إلى أيام (ياسر يهنعم) و (شمر يهرعش) ، أما الكتابات المتأخرة ، فقد اختفت منها هاتين التسميتين ، ويظن أنهم أخذوا بالتأريخ بتقويم (مبحض) ولذلك اهملوا الاشارة الى الاسم ، لأنه كان معلوماً عندهم . ويرى (بيستن) أن الفرق بين التقويمين هو قرابة نصف قرن أو ثلاثة أرباع قرن[2] .

وأسلوب التوريخ في النصوص السبئية المتأخرة هو أن تذكر لفظة (ورخن) أولاً ، ثم اسم الشهر من بعده ، ثم السنة ، كأن تقول : « ورخهن ذ مذرن ذل ٣١٦ خرفتم بن خرف نبط »[3] ، أي « وبشهر ذ مذران لـ ٣١٦ سنة من سنة نبط » ، أو « وبتأريخ ذ مذران من سنة ٣١٦ من سني نبط » ، أو مثل « ورخهو ذ داون ذ لخرفين ذل اربعت وسبعى وخمس مائتم » ، أي « وشهره ذ داوان للسنين التي هي ٥٧٤ »[4] ، أو « وتأريخه ذ داوان للسنة ٥٧٤ » ، ومثل : « خرفن ذل ثلثت واربعى وخمسمس مائتم » ، أي « سنة ٥٤٣ »[5] ، ومثل : « وخرفهو ذ حجتن ذل اربعى وست مائتم خرفتم »[6] ، أي « وشهره ذو الحجة لأربعين وستمائة سنة » ، أو « وتأريخه ذو الحجة الموافق لـ ٦٤٠ سنة مضت » ، ومثل : « وخرفهو ذل ثنى وستى وست مائتم »[7] ، أي « وتأريخه لاثنين وستين ومائة »[8] .

---

١ CIH 46, 448, REP. EPIGR. 3866, Beeston, p. 36.

٢ Beeston, p. 36.

٣ REP. EPIG. 4196.

٤ Ryckmans 520.

٥ Ryckmans 534.

٦ CIH 621.

٧ Ryckmans 506.

٨ Beeston, p. 73.

ومن الغريب ان أهل الأخبار قد أغفلوا الاشارة الى هذا التقويم فلم يذكروا عنه شيئاً ، ولم يشيروا الى أن العرب الجنوبيين كانوا يؤرخون بـــه ، مع أهميته وكونه تقويماً رسمياً .

هذا ، وان في استطاعتنا القول بأن اليمن لم تسر رسمياً عـلى التقويم العبراني أو التقويم النصراني ، حتى في أيام احتلال الحبش الأخـير لليمن ، أو في أيام استيلاء الفرس عليها ، وذلك بدليل توريخ أبرهة عامل الحبشة على اليمن ، وهو نصراني ، نصوصه بالتقويم اليماني المستعمل في اليمن الذي تحدثت فيما سلف عن مبدئه ، مع أنه حاكم اليمن وممثل الحبش فيها وهو نصراني . وبدليل توريخ عدد من كتابات المسند المتـأخرة من عهد لا يبعد كثيراً عن الاسلام بهذا التقويم . وليس بالتقويمين المذكورين،أو بأي تقويم آخر من التقاويم المستعملة عند الشرقيين .

ولكن ما أذكره لا يعني بالطبع عدم احتمال توريخ يهود اليمن أو نصاراهـا أو غيرهم بتقاويم أخرى ، مثل التقويم العبراني أو الميلادي ، أو غيرهما . ومـا أقوله هو عن التقويم الرسمي المدون في المسند ، وربما سيعثر في المستقبل عـلى نصوص تعود الى عهد احتلال الحبش لليمن ، يرد فيها التأريخ بأيام الحبش فيها، أو بالتأريخ الرسمي الذي كان يتبعه الأحباش في مملكتهم .

أما العرب الشماليون ، عرب العراق وبادية الشأم وبلاد الشأم ، فلم يرد الينا من نصوصهم المؤرخـة إلا عدد محدود ، منها نص النمارة الذي يعود عهده الى السنة (٣٢٨) للميلاد . وهو مؤرخ بتقويم بصرى ، وبصرى مركز مهم ، كان يقصده عرب الحجاز للاتجار وقد وصل اليه النبي . وكان عرب هذه المنطقـة يؤرخون به . ويبدأ هذا التقويم بدخول بصرى في حوزة الروم سنة (١٠٥) أو (١٠٦) للميلاد ، أي السنة التي تم فيها القضاء على حكومة النبط والحاق (بترا) بـ (الكورة العربية)[1] .

ولهذا فإذا أردنا تحويل سنة من السنين التي أرخ بها وفقـاً لتقويم بصرى ، فعلينا اضافة الرقم (١٠٥) أو (١٠٦) على سني تقويم بصرى ، فيكون حاصل

---

١ Die Araber, II, S. 319.

الجمع السنة وفقاً للتقويم الميلادي تقريباً . فتأريخ نص النمارة هو سنة (٢٢٣) من تقويم بصرى ، وقد أضفنا اليه الفرق وهو (١٠٥) ، فصار الحاصل (٣٢٨) ، وهو ما يقابلها من سني الميلاد .

وقد أرخت كتابة (حرّان) اليونانية بسنة أربع مئة وثلاث وستين من الأندقطيّة الأولى ، وهي تقابل سنة ٥٦٨ للميلاد ، والأندقطية هي دائرة ثماني سنين عند الرومانيين ، وكانت تستعمل في تصحيح تقويم السنة . أما النص العربي فقد أرخ بسنة (٤٦٣) ، بعد مفسد خيبر بعام . ويراد بجملة : « بعد مفسد خيبر بعم » ، غزوة قام بها أحد أمراء غسان أو غيره لخيبر ، وذلك في رأي الأستاذ (ليمان)[1] . وعندي ان السنة (٤٦٣) ، التي أرخ بها النص العربي ، هي من سني تقويم بصرى ، بدليل اننا لو أضفنا اليها الرقم (١٠٥) المذكور ، صار الحاصل (٥٦٨) ، وهو كناية عن سني الميلاد ، المقابلة لسني بصرى . وعلى ذلك يكون تدوين هذا النص قد تم بعد غزو خيبر بعام ، أي ان هذا الغزو قد وقع سنة (٥٦٧) للميلاد . وقد كان (الحارث بن جبلة) يحكم (غسان) آنذاك ، فتصدق رواية (ابن قتيبة) حينئذ التي تذكر انه غزا خيبر ، وسبا أهلها ثم أعتقهم بعدما قدم الشام[2] .

وقد استعمل التقويم الذي يؤرخ بحكم (الاسكندر) تقويماً عند اليونان وفي بلاد الشأم ، وعند عرب بلاد الشأم أيضاً . ومبدأه الأول من شهر نيسان لسنة (٣١١) قبل الميلاد[3] ، ونجد أثر التأريخ بهذا التقويم في الروايات التي يرويها أهل الأخبار عن عرب بلاد الشأم والعراق . وقد بقي الناس يؤرخون به الى أن حل التقويم الميلادي محله ، فنسي ذلك التقويم . وذكر (المسعودي) أن ما بين الاسكندر الى المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون[4] .

وقد كان الصفويون مثل غيرهم يؤرخون بالحوادث التي يكون لها شأن عندهم ،

---

١ جواد علي ، تأريخ العرب قبل الاسلام (١٨/١) ، السامية (١٩٢) ، Rivista degli stud. Orientali, 1911, p. 195.

٢ المعارف (٦٤٢) .

٣ Die Araber, II, S. 236, Hastings, extra Volume, (1904), p. 483.

٤ مروج الذهب (١٨٣/٢ وما بعدها) ، (ذكر شهور السريانيين) .

مثل حروبهم بعضهم مع بعض ، أو حروبهم مع غيرهم مثل النبط أو الروم . وقد أرخ بعضها بحوادث ذات صفة خاصة وعائلية ، مثل (سنة قتله خاله) ، أو (سنة وفاة والده) . وهي حوادث لا يمكننا الاستفادة منها في استنباط تأريخ منها ؛ لأننا لا نعرف من أمرها شيئاً . غير أن هنالك نصوصاً مؤرخة أفادتنا بعض الإفادة في الوقوف على التوقيت عند الصفويين . ففي نص لرجل اسمه (انعم بن فخش) ، ما يفيد أنه استولى على غنائم (سنة الحرب مع النبط). ويقصد بسنة الحرب مع النبط ، السنة التي قضى فيها الرومان على مملكة النبط ، وهي سنة (١٠٥) أو (١٠٦) للميلاد . وقد صارت هذه السنة مبدءاً للتأريخ في (بصرى) ، وعند العرب الصفويين[1] .

ولدينا نص صفوي آخر ، أرخ بـ « سنت حرب همدى ال روم » ، أي « سنة محاربة الميديين الروم » ، أو « سنة حرب الميديين الروم » . ويرى (ليمان) انه قد توصل الى ضبط تأريخ هذه الحرب . وهناك نص أرخ بـ « سنت قتل ال حمد » ، ويظن انه يشير الى معركة دارت على قبيلة تسمى (آل حمد) . وصاحب النص رجل من قبيلة تسمى (الرحبة)[2] ، ولا زال الأعراب يؤرخون بأيام قتالهم بعضهم مع بعض .

ونحن لا نعلم اليوم كيف كان يؤرخ أهل الحيرة أو الغساسنة ، لعدم ورود نصوص مدونة عن ذلك سوى ما ذكرته من نص النمارة المؤرخ بموجب تقويم بصرى . ولا أستبعد احتمال استعمال أهل الحيرة التقاويم العراقية أو الفارسية التي كانت شائعة عندهم في ذلك العهد أساساً للتأريخ . وقد يكون من بينها التقويم النصراني بالنسبة للنصارى ، وينطبق ذلك على نصارى الغساسنة أيضاً ، كما لا أستبعد استعمال الغساسنة لتقويم الروم . وللتقاويم العربية المألوفة التي تستعمل الأساليب المحلية في تثبيت التواريخ . ويظهر من تأريخ (ابن الكلبي) لحوادث الحيرة وعرب العراق بتقويم الساسانيين لتواريخ ملوكهم ، ان أهل الحيرة كانوا قد دوّنوا تواريخهم بموجبها ، ولكن هذا لا يمنع من احتمال أخذ ابن الكلبي أقواله في تواريخهم من تواريخ الفرس ومن رواتهم رأساً ، فلا يكون عندئذ ذكره

---

١ رينيه ديسو ، العرب في سوريا قبل الاسلام (ص ١٠٣) .

٢ العرب في سوريا قبل الاسلام (ص ١٠٥) .

لتواريخهم دليلاً على تأريخ أهل الحيرة بتقويم الفرس .

ويروي أهل الأخبار أن العرب كانوا يؤرخون بالحوادث العظام التي تحدث لهم ، من ذلك عام الخُنان . وهو عام وقع فيه كما يقولون مرض خطير عضال فتك بالناس وبالإبل ، فأرخوا به ، ورووا في ذلك شعراً للنابغة الجعدي[1] . وقد وقع زمن الخنان في عهد المنذر بن ماء السماء ، وماتت الإبل منه . فصار ذلك تأريخاً لهم[2] . ويظهر أنه كان وباء فتك بالناس وبالإبل ، وانتشر في العراق وفي نجد ، فأرخ به لأهميته بالنسبة لهم، والتأريخ بالأوبئة شيء مألوف ، وأهل بغداد كانوا يؤرخون بطاعون وقع عندهم في عهد العثمانيين وقبل الحرب العالمية بسنوات ولا زال الشيبة يؤرخون به .

وكان أهل مكة يؤرخون بما يقع عندهم من أحداث جسيمة ، فإذا أرخوا بحادث ومضى عهد عليه ، ووقع لهم حادث آخر أكثر أهمية وشعبية منه ، أرخوا به . فتوالت لهم عدة تواريخ ، نسخت بعضها بعضاً ، فأرخوا كما يذكر أهل الأخبار بعام رئاسة عمرو بن ربيعة المعروف بعمرو بن لحي ، وهو الذي يقال انه بدّل دين ابراهيم ، وحمل من مدينة البلقاء صنم هُبَلْ ، وعمل إسافاً ونائلة، وذلك كما يقال في زمن (سابور ذي الأكتاف) . وأرخوا بعام موت كعب بن لؤي الى عام الغدر ، وهو الذي ذهب فيه بنو يربوع ما أنفذه بعض ملوك حمير الى الكعبة من الكسوة ، ووثب بعض الناس على بعض في الموسم . ثم أرخوا بعام الغدر الى عام الفيل الذي أرخوا به[3] . قال (الجاحظ) : « ومن الخطباء القدماء كعب بن لؤي ، وكان يخطب على العرب عامة ، ويحض كنانة على البر ، فلما مات أكبروا موته ، فلم تزل كنانة تؤرخ بموت كعب بن لؤي الى عام الفيل »[4] .

---

١ فمن يحرص على كبري فاني من الشبان أيام الخنان
بلوغ الارب (٣/٢١٤ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٩/١٩٣) (خنن) ، بلوغ الارب (٣/٢١٤) ، اللسان (١٣/١٤٣) « صادر » ، (خنن) .

٣ الآثار الباقية (١/٣٤) .

٤ البيان والتبيين (١/٣٥١) .

وذكر (اليعقوبي) ، أن قريشاً كانوا يؤرخون بالسنين ، يؤرخون بموت (قصي) لجلالة قصي عندهم ، فسنة وفاته هي مبدأ تأريخهم الى أن كان عام الفيل ، فأرخوا به لاشتهار ذلك العام[1] .

وذكروا أنهم أرخوا بعام وفاة هشام بن المغيرة المخزومي،وهو والد أبي جهل، وكان من رؤساء بني مخزوم ، وله صيت عظيم بمكة ، كما كان سيد قريش في زمانه[2] . وقد مات بالرعاف ، ذكر أنه كان آخر من مات به من سادة قريش . وزعموا أن الرعاف من منايا (جرهم) أيام جرهم ، وأنه أهلكهم ، فأرخوا به . قال بشير بن الحجير الإيادي :

ونحن إياد عبادُ الإلَه ورهط مناجيه في سُلّم
ونحن ولاة حجاب العتيق زمانَ الرعاف على جرهم[3]

وورد (زمان النخاع) في موضع (زمان الرعاف) ، وهو داء أيضاً ، زعم أنه فتك بجرهم ، فهلك منهم ثمانون كهلاً في ليلة واحدة سوى الشبان[4] . فهو وباء أيضاً زعم أن الناس أرخوا به .

وأرخوا بعام الفيل ، بقوا يؤرخون به الى أن أرخ بالهجرة[5] . وقد ترك الحادث أثراً مهماً في ذاكرة قريش ، ولهذا ذكروا به في القرآن ، حتى يتعظوا به . ويجعلون عام الفيل في الثانية والأربعين من ملك كسرى أنو شروان ، وقبل ولاية النعمان بن المنذر المعروف بـ (أبي قابوس) بنحوٍ من سبع عشرة سنة ،

---

١ اليعقوبي (٢/٤) ، (مولد رسول الله) .
٢ بلوغ الارب (٣/٢١٥) ، (واتخذت قريش موته تأريخا . وله يقول بجير بن عبد الله بن عامر بن سلمة بن قشير :
فأصبح بطن مكة مقشعرا كأن الارض ليس بها هشام) ،
المحبر (١٣٩) .
٣ الحيوان (٦/١٥١) .
٤ الحيوان (٦/١٥١) .
٥ بلوغ الارب (٣/٢١٥) .

وهي احدى وثمانين وثمانمائة لغلبة الاسكندر على دارا ، وهي سنة ألف وثلاثمائة وستة عشر لابتداء ملك بخت نصر[1] . وهو العام الذي ولد فيه الرسول على أغلب الروايات .

وأرخت قريش بيوم الفجار وبحلف الفضول .

وكانوا يسمون السنين بالحوادث الخطيرة الجليلة التي تقع فيها . وقد فعل ذلك المسلمون أيضاً في صدر الإسلام ، فسموا كل سنة مما بين الهجرة والوفاة باسم مخصوص بها مشتق مما اتفق فيها للنبي . فسموا السنة الأولى للهجرة سنة الأذن ، والثانية سنة الأمر بالقتال ، والثالثة سنة التمحيص ، والرابعة سنة الترفئة ، والخامسة سنة الزلزال ، والسادسة سة الاستئناس ، والسابعة سنة الاستغلاب ، والثامنة سنة الاستواء ، والتاسعة سنة البراءة ، والعاشرة سنة الوداع ،فكانوا يستغنون بذكرها عن عددها من لدن الهجرة[2] .

وأما الأعراب ، فتواريخهم برئاسة ساداتهم ، وبالأحداث التي تقع لهم من أفراح وأتراح ، ومن غزو أو نكبة ، وبالعوارض الطبيعية ، مثل سقوط مطر غزير ، أو انحباسه مدة طويلة ، أو هزة أرضية ، أو ظهور جراد ، أو وقوع وباء ، وما أشبه ذلك من أمور . وهم على هذا النوع من التأريخ حتى اليوم .

وليس في الذي رواه أهل الأخبار عن أهل الجاهلية ما يشير الى وقوف العرب على كتب في التأريخ يونانية أو لاتينية أو سريانية أو عبرانية ، أو على معربات لها . وليس في كل الذي ذكروه اسم مؤرخ من المؤرخين الذين نجلتهم الشعوب المذكورة . غير ان هذا لا يمكن أن يكون دليلاً على عدم وقوفهم على تواريخ تلك الأمم وأخبارهم ، ففي القصص المنسوب الى الجاهليين ، قصص يدل على انه مأخوذ عن تلك الأمم مستورد منها . ثم ان أهل الأخبار أنفسهم أشاروا الى نفر ذكروا عنهم انهم نظروا في كتب الأساطير ورووا منها أخبار العجم ، والى نفر ذكروا عنهم انهم نظروا في الكتب القديمة وحذقوا لغات أهل الكتاب ، ورووا في شعرهم أو في كلامهم شيئاً مقتبساً من قصص أهل الكتاب ، يضاف

---

١ امتاع الاسماع (١/٤) .

٢ الآثار الباقية (١/٣٤) .

الى ذلك وجود الكنائس والنصرانية في بلاد العرب . والتأريخ ، ولا سيما تأريخ الكنيسة موضوع مهم من الموضوعات التي استعان بها المبشرون ورجال الدين في الوعظ والارشاد . ولا يستبعد أن تكون كتب التأريخ التي كتبها آباء الكنيسة ، مثل (أوسبيوس القيصري) وأمثاله ، في جملة الكتب التي استعانت بها الكنيسة لافهام الناس تأريخها وتطورها وتطور العالم على نحو ما دوّنوه بالاستناد الى التوراة والانجيل .

obeikandl.com